

التَّعْرِيْبُ وَأَهْمِيَّتُهُ فِي تَوْسِعِ الْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ

| لُبَّ |

أ.م. د. مُؤَيَّدُ عَبْدِ الْجَبَّارِ حُضَيْرِ
جَامِعَةُ بَغْدَادَ / كَلِيَّةُ عُلُومِ الْهَنْدَسَةِ الزَّرَاعِيَّةِ

يُشَكِّلُ التَّعْرِيْبُ اللُّغَوِي أَحَدَ أْبْرَزِ الْمَحَاوِرِ الَّتِي تَنْدَرُجُ صَمْنَ جُهُودِ الْحِفَاظِ عَلَى الْهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، فِي ظِلِّ التَّحْدِيَّاتِ الْمْتَزَايِدَةِ الَّتِي تَقْرُضُهَا الْعَوْلَةُ وَالْإِنْفِتَاحُ الْمَعْرِفِي. وَكَذَلِكَ هُوَ أَحَدُ أْبْرَزِ الْوَسَائِلِ الَّتِي أَسْهَمَتْ عِبْرَ الْعَصُورِ فِي إِثْرَاءِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَوْسِيْعِ مَعْجَمِهَا، سِوَاءً فِي حُقُبِ التَّرْجَمَةِ، أَوْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ الِذِي يَشْهَدُ ثَوْرَةً مَعْرِفِيَّةً وَتَقْنَانِيَّةً مْتَسَارِعَةً، وَفِي ظِلِّ تَدْفِقِ الْمُصْطَلَّحَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، بَرَزَتْ الْحَاجَةُ إِلَى آلِيَّةٍ فَعَالَةٍ لِاحْتِوَاءِ هَذَا الْكَمِّ الْهَائِلِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْمَسْتَجْدَةِ دَاخِلَ بِنْيَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْ دُونِ الْمَسَاسِ بِأَصَالَتِهَا، وَمِنْ هُنَا تَنْضَحُ أَهْمِيَّةُ التَّعْرِيْبِ مِنْ حَيْثُ هُوَ أَدَاةٌ تَرْفِدُ الْمَعْجَمَ الْعَرَبِيَّ بِالْفَافِظِ وَمُصْطَلَّحَاتٍ جَدِيدَةٍ تَعَكْسُ تَطَوُّرَ الْعُلُومِ وَتَغْيِيرَ أَنْمَاطِ الْحَيَاةِ.

لَقَدْ أَثَارَ مَوْضُوعَ التَّعْرِيْبِ جَدَلًا وَاسِعًا فِي الْأَوْسَاطِ اللَّغَوِيَّةِ الْأَكَادِيمِيَّةِ وَالتَّرْبُويَّةِ، بَيْنَ مَنْ يَرَى فِيهِ ضَرْوْرَةَ اسْتِرَاطِيْجِيَّةٍ لِتَعْرِيْزِ مَكَانَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَجَالَاتِ التَّعْلِيمِ وَالْإِنْتِاجِ الْمَعْرِفِي، وَمَنْ يَرَى أَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى اللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَلا سِيَّامَا الْإِنْكَلِيْزِيَّةِ، يُعَدُّ أَكْثَرَ وَاقْعِيَّةً فِي ظِلِّ التَّقَدُّمِ الْعِلْمِيِّ الْمْتَسَارِعِ، وَفِي ضَوْءِ هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّاتِ، تَهْدَفُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ إِلَى مَنَاقِشَةِ مَفْهُومِ التَّعْرِيْبِ اللَّغَوِيِّ، وَأَهْمِيَّتِهِ، وَتَحْدِيَّاتِهِ، وَمَدَى إِمْكَانِيَّةِ تَطْبِيقِهِ بِفَعَالِيَّةٍ فِي السِّيَاقَاتِ الْمُعَاصِرَةِ.

مفهوم التَّعْرِيْبِ لُغَوِيًّا:

وَضَعَ سيبويه قديمًا قواعدَ التَّعْرِيْبِ وحدوده وضوابطه منذ أول تأليف له، والحقيقة أنه لم يشترط الوزن العَرَبِيَّ في الكلمة المَعْرَبَةِ إذ ذَكَرَ في باب (ما أُعْرِبَ من الأَعْجَمِيَّةِ) أَنَّ هناك أسماء جعلوها تحت أوزان اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وربَّما تركوا الاسمَ على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن نحو: خَرَّاسَان، وَخَرَّم، والكُرْكُم^(١). وقد نَهَجَ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ بِالْأَسْوَاقِ والأصول التي أَصْلَهَا لَهُمْ في وصفه لتلك الظاهرة، وفي بيانٍ لِمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ التَّعْرِيْبُ مِنَ الإلتزام بنظامِ العَرَبِيَّةِ في نطقِ الكلمات، وما يَجِبُ أَنْ تَتَّسَمَ بِهِ من مواءمةٍ للذوقِ العَرَبِيِّ السليم في صَوْغِهَا. غيرَ أَنَّ الفَرَّاءَ، والجَوْهَرِيَّ، والحَرِيرِيَّ اشترطوا أَنْ يَكُونَ المَعْرَبُ من ضمنِ أبنية العرب، فقد ذَكَرَ الفَرَّاءُ أَنَّ الاسمَ الفارسيَّ يُبْنَى أَيُّ بِنَاءٍ كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب^(٢).

أَمَّا المُحَدِّثُونَ فقد حَدَّوهُ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ التي لا تَخْرُجُ في مُجْمَلِهَا عن معنَى واحدٍ وإليك بعضًا منها:

فهو في أبسط مفهوم له: نقل لفظٍ من لغةٍ أَعْجَمِيَّةِ إلى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بتغييرٍ طفيفٍ أو من دون تغيير. فإذا تمَّ هذا النقلُ من دون تغييرٍ في الكلمة سُمِّيَ (دَخِيلًا) ومن أمثلته: الأوكسجين، والنتروجين، والنيترون، وغيرها، وإذا وقع عليه التغيير سُمِّيَ (مَعْرَبًا) ومن أمثلته أَلْفَاظٌ مثل: الهاتف، والبرقية، وغيرها. وقد عرَّفَهُ الجوهري بقوله: أن تتفوه به العربُ على منْهَاجِهَا^(٣). على أَنَّ هناك بعضَ

(١) الكتاب: ٣٠٤/٤.

(٢) المَعْرَبُ مِنَ الكَلَامِ الأَعْجَمِيِّ مِنَ حُرُوفِ المَعْجَمِ: ٢٠ (موهوب بن أحمد الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاکر، ط/٢، دار الكتب، القاهرة)

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج١، ١٧٩.

الكلمات التي استعملتها العربُ على غير منْهَاجِهَا ولا تعدُّ مِنَ التَّعْرِيْبِ في شيءٍ بل هي كلماتُ أَعْجَمِيَّةٌ نحو: إبراهيم، وخراسان، وأجر، وقنبيط وغيرها. وعرَّفَهُ بعضهم بأنَّه: كُلُّ كلمةٍ أَعْجَمِيَّةٍ دخلتُ العَرَبِيَّةَ قديمًا، أو تدخلُ اليومَ أو غدًا، على أَنْ تكونَ وفقَ مقاييسِ العَرَبِيَّةِ وأبنيتها وحروفها، ولا يدخلُ في هذا كثيرٌ ممَّا عرَّبه القُدَمَاءُ أو المُعَاَصِرُونَ، ويُسمَّى هذا النوعَ مَعْرَبًا؛ لأنَّ الروحَ العَرَبِيَّةَ سَرَتْ فيه، وأصبح جزءًا من البناءِ العَرَبِيِّ^(٤).

وعلى هذا يمكن القول: بأنَّه إدخالُ الكلمة الأَعْجَمِيَّةِ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بعد تعديلها صوتيًا وصرفيًا لتلائم بنية العَرَبِيَّةِ مع الحفاظ على المعنى والدقة، ولا يقتصر التَّعْرِيْبُ على مجرد الترجمة، بل يتضمن أيضًا توليد كلمات عَرَبِيَّةٍ جديدة، أو إعادة إحياء أَلْفَاظٍ مهجورة لتؤدي وظائف لغوية حديثة. أو هو نقل المصطلحات والمعارف من اللُّغَاتِ الأَعْجَمِيَّةِ إلى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، مع الحفاظ على المعنى والدقة العلمية.

فالتَّعْرِيْبُ إذن إضافة كلمات جديدة إلى القاموس العَرَبِيِّ حسب نظام العَرَبِيَّةِ في إضافة الكلمات غير العَرَبِيَّةِ. ممَّا يساعد في تنمية الثروة اللفظية العَرَبِيَّةِ.

إنَّ مَنَهِجَ العرب في التَّعْرِيْبِ يؤذَنُ بأنَّهم حريصين على تذويب المَعْرَبِ في لغتهم وصبغه في صبغتها وطبعه بطابع أساليبها وصياغتها إذا ما اضطروا إلى الاقتراض اللغوي؛ بحكم عامل التواصل والاختلاط بالأعاجم أولاً، والحاجة إلى تسمية أشياء غير معروفة في المجتمع ثانيًا، فتدخل العَرَبِيَّةُ بأسمائها الأَعْجَمِيَّةِ فإذا ما انقضى زمن عليها تدخل ضمن اللسان العَرَبِيِّ وكأنَّها عربية

(٤) المُعْرَبُ وَالدَّخِيلُ فِي المَجَلَّاتِ المُتَخَصِّصَةِ (مجلة مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بدمشق): العدد، ١٩، ص: ٨٤.

الأصل.

وإسماعيل، وغيرهما من الأسماء التي وصلتنا أنّها أعجمية.

٢- خروجه عن أوزان الأسماء العرّبيّة نحو: إبريسم، وخرسان (فعلان)، وآمين (فاعيل)، فهذه الأوزان لا توجد في العرّبيّة.

٣- أن يكون أوله نوناً ثمّ راء نحو: نرجس، ونرمين، نروان.

٤- أن يكون آخره زايّاً بعد دال نحو: مهندز.

٥- أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم نحو: الجصّ، وصولجان.

٦- اجتماع القاف والجيم نحو: المنجنيق.

٧- أن يكون رباعياً أو خماسياً خالياً من حروف الذلاقة (الباء، والراء، والفاء، واللام، والميم، والنون) نحو: سفرجل.

٨- اجتماع الجيم والطاء نحو: الطاجن، والطيغن.

٩- اجتماع السين والذال وقد سبقتهما همزة مضمومة نحو: أستاذ.

١٠- عدم وجود جذر عربيّ.

استدلّ اللغويون على عربيّة اللفظة أن يكون لها جذر في العرّبيّة، ومن استدلالهم على عجميتها ألا يكون لها جذر، ومن ذلك مثلاً عجمة كلمة (تنور) إذ إنّ أصل بنائه (ت.ن.ر) لم تعرفه العرب، وكذلك ألفاظ مثل: (مرجان)، و(ياقوت)، و(سيناء)، و (أستاذ).

ومع كلّ هذه المعايير التي وضعوها إلا أنّهم كانوا يُسارعون إلى دعوى العجمة في ألفاظ لا يستبين الدليل على عجمتها. لأسباب منها:

- التشابه بين لفظين في لغتين، ربّما يكون اتفاقاً دون أن تأخذ إحداها من الأخرى.

- إنّ اللغات السامية وجاراتها قد تبادلن ألفاظاً في عصور متطاولة قبل الإسلام، فدخل في الفارسية

وقد أثارت ظاهرة التعريب كغيرها من الظواهر اللغويّة خلافاتٍ كبيرة بين علماء اللّغة، فمنهم من رفضها أصلاً في القرآن الكريم، ومنهم من أقرّ بوجودها فيه، وقد حاول أبو عبيد القاسم بن سلام أن يوفّق بين الرأيين وذلك بقوله: (وكلاهما مُصِيبٌ إن شاء الله تعالى، وذلك أنّ هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثمّ لفظت به العرب على ألسنتها فعربته فصار عربياً بتعريبها إياه فهي عربيّة في هذه الحال أعجميّة الأصل)^(٥).

وهذا المنهج هو الذي يجب أن يتّبع وأن نسعى لتحقيقه ولاسيّما في عصرنا الحاضر الذي اتّسعت فيه ميادين التعريب فشملت الألفاظ والأساليب ومصطلحات العلوم والثقافات والمفاهيم الحضاريّة والإنسانيّة ممّا يؤثّر في الألسنة والعقول والسلوك، فإذا لم نخضعه لمناهج تفكيرنا اللغويّ والعقليّ، فإنّه يكون خطراً على مستقبل أبنائنا، وعلى مستقبل لغتنا العرّبيّة.

معايير الحكم بأعجميّة اللفظة

لقد أُلّف كثيرٌ من اللغويين معاجم خاصّة في الألفاظ المرعّبة ولكنهم لم يكونوا على صواب دائم في تحديدهم تلك الألفاظ، فبعضهم قد أخطأ من نواحٍ عدّة فقد تكون اللفظة من أصول عربيّة واضحة لا تحتمل نسبتهما إلى غير العرّبيّة، وقد اختطّ اللغويون العربُ معاييرَ عامّة لتمييز العرّبيّ عن الأعجميّ، وهذه المعايير حسبما وردت هي:

١- النقل: وهو أن يُنقل إلينا عن طريق اللغويين العرب أن تلك اللفظة أعجميّة نحو: إبراهيم،

(٥) المُعرب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم: ٥.

مثلاً ألفاظ سامية، ومن ثمَّ فإنَّ دعوى فارسيّتها مشكوكٌ فيها.

- إنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ لم يعرفوا القرابة بين العَرَبِيَّةِ وأخواتها السامياتِ فعدّوا كلَّ لفظٍ عربيٍّ معروفٍ في السُّريانيَّةِ مثلاً دخيلاً في العَرَبِيَّةِ، ولم يعدّوا اللفظ من أصلٍ ساميٍّ واحد.

- إنَّهم كانوا يسارعونَ إلى التماسِ كثيرٍ من أصولِ الكلماتِ الأعجميةِ في الفارسيَّةِ؛ لأنَّها كانت أقرب إلى عُلَمَاءِ اللُّغَةِ من غيرها، على حينِ أنَّ هذه الألفاظ قد تكونُ من اللُّغاتِ الساميةِ أو غيرها من اللُّغاتِ التي تسربت ألفاظها منذ عهدٍ بعد إلى الفارسيَّةِ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك أنَّ بعضهم قال: إنَّ (الأبيل) وهو الراهبُ فارسيٌّ مُعَرَّبٌ والكلمةُ سريانيَّةٌ، وإنَّ (الدينارَ) فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، والكلمةُ روميَّةٌ^(٦).

- المعيار الثقافي والتاريخي

إنَّ القول بتأثير ثقافة في ثقافةٍ أخرى يتوقَّف على وجودِ اتصالٍ تاريخيٍّ محققٍ بين أهلها. ومن ثمَّ لم يكن غريباً أن يُنكر تأثيرُ التركيَّةِ في لغةِ القرآن، إذ لم يتحقَّق اتصالٌ ثقافيٌّ بين أهلِ هاتين اللغتين قبل الإسلام. والغالبُ أنَّ الألفاظَ المُقتَرَضَةَ تدلُّ على أشياء غير معروفةٍ في بيئةِ اللُّغَةِ المُقتَرَضَةِ، يقول أبو حاتم: (واعلم أنَّ كلَّ شيءٍ لا يكونُ في البادية فهو أعجميٌّ مُعَرَّبٌ إلا قليلاً، ومن ذلك أدواتُ البنائين، والنجَّارين، والصنَّع، فعامةُ أدواتهم بالفارسيَّةِ)^(٧). وقد تنبه اللغويونَ إلى أهميَّةِ الجوار في شيوعِ ألفاظِ لغةٍ دون أخرى، فقد دخلَ إلى عربيَّةِ أهلِ الشام كثيرٌ من الكلماتِ السريانيَّةِ، مثلما دخلَ إلى عربيَّةِ أهلِ العراق كثيرٌ من الكلماتِ الفارسيَّةِ. فالكلمات

مثل: درهم، وتنور، فارسيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ. وقد تكلمت بها العرب قديماً، ولما جاء التنزيلُ خوطبوا به. وكلمةُ (استبرق) مُعَرَّبَةٌ؛ لأنَّ الثيابَ من الحريرِ عرفها العربُ من الفرس.

إسهام التَّعريب في تنمية الثروة اللغويَّة العَرَبِيَّة:

يؤدي التَّعريب دوراً بارزاً في توسعة المعجمِ العَرَبِيّ وذلك في ضوء:

١- ادخالُ مُصطلَّحاتٍ جديدة في ظل التطورِ السَّريع في مجالاتِ الحياةِ المُختلفة كالتكنولوجيا، والطبِّ، والفضاء، والاقتصاد، والإعلامِ إذ يوفِّرُ مقابلًا عَرَبِيًّا لكلِّ مُصطلَّحٍ أجنبيٍّ مُستحدَث، ممَّا يحفظُ للعربيَّةِ قدرتها على التعبيرِ عن العلومِ المُعاصرة.

٢- تفعيلُ آلياتِ القياسِ والاشتقاقِ باعتمادِ الجذورِ اللغويَّةِ العَرَبِيَّةِ لصياغةِ ألفاظٍ مستحدثة.

٣- إحياءِ المفرداتِ المهجورة بإعادةِ توظيفِ كلماتٍ قديمةٍ ذواتِ دلالاتٍ قريبة لتأديةِ معانٍ جديدة، وهو ما يسهمُ في تجديدِ الثروةِ المُعجميَّةِ من دونِ الاستغناء عن أصالةِ اللُّغَةِ.

٤- التكيُّفُ مع متطلباتِ العصرِ إذ يستطيعُ المُعجمُ العَرَبِيُّ أن يتماشى مع التحولاتِ المُفهوميةِ والتقانيَّةِ التي يفرضها العصرُ الرقميُّ.

التحديات التي تواجه التَّعريبَ في تطوير المعجم:

يواجه التَّعريبُ في الوقتِ الحاضرِ تحدياتٍ عدَّةً في رُفدِ المُعجمِ العَرَبِيّ، أبرزها:

١- عدم توحيدِ المُصطلَّحاتِ بين الدولِ العَرَبِيَّةِ يؤدي إلى تعددِ المُصطلَّحاتِ المُعرَّبة للكلمة الواحدة.

٢- ضعف التنسيقِ بين الجامعاتِ اللغويَّةِ العَرَبِيَّةِ

(٦) ينظر: التعريب في القديم والحديث ص: ٣٠

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ص: ١٩ / ١.

والمؤسسات العلميّة والأكاديميّة يُبَطِّئُ عملية الاستجابة للتطورات المُصطلحيّة.

٣- الاعتماد المتزايد على المُصطلحات الأجنبيّة، لاسيّما في الأوساط الأكاديميّة.

خاتمة:

إنّ التّعريب ليس عمليّة لغويّة شكليّة، بل هو مشروع ثقافيّ ومعرفيّ متكامل يُسهم في تطوير اللّغة العربيّة وتمكينها من أداء دورها الحضاريّ في العصر الحديث، ففي ضوء التّعريب لا تكتفي اللّغة العربيّة بترجمة المفاهيم، بل تعيد إنتاجها ضمن بنية لغويّة تعبّر عن هويتها، وتُغني مُعجمها بمفرداتٍ تواكب العصر، ولهذا فإنّ تعزيز سياسات التّعريب، وتكثيف جهود الترجمة العلميّة، وتوحيد المُصطلحات بين الدول العربيّة، تمثل خطواتٍ أساسيّة لضمان توسّع المُعجم العربيّ واستمراره في مواكبة التحولات العالميّة.

المصادر والمراجع:

- التّعريب في القديم والحديث، د. مُحمّد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تحقيق: عبد السّلام مُحمّد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٢-١٩٨٨ م.
- الصّحاحُ تاجُ اللّغةِ وصحاحُ العربيّة، أبو نصر إسماعيلُ بن حمادِ الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤-١٩٨٧ م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المنثري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعارف، القاهرة، ط٢-١٩٦١ م.
- المُعرب من الكلام الأعجميّ من حروف المُعجم، موهوبُ بن أحمد الجواليقيّ، تحقيق: أحمد مُحمّد شاكر، ط٢، دار الكتب، القاهرة.
- المُعرب والدّخيل في المجلّات المُتخصّصة، مجلّة مَجْمَع اللّغة العربيّة بدمشق، العدد: ١٩.